خطبة صلاة الجمعة 9/10/2020 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(نتيجة عملية)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (1) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: 1، 2].

قال ابن كثير: يهدي إلى الرُّشد أي يهدي إلى السَّداد والنَّجاح.

وقال سبحانه: ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: 10].

قال المفسرون: معنى قوله: ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾: يَسِّر لنا طريقاً سديداً للخير وللحق، والرَّشَد والرُّشْد هو الاهتداء لطريق الحق.

أخرج أبو داود والترمذي عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ✕: «مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ، وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَإِنَّهُ لاَ يَضُرُّ إِلاَّ نَفْسَهُ وَلاَ يَضُرُّ اللَّهَ شَيْئًا».

أيها الإخوة:

هذه الخطبة الأخيرة الثلاثون في سلسلة (دليل إرشادي)، تناولت كل خطبة منها مشكلة اجتماعية أسرية أو مالية أو أخلاقية، عرضت السلسلة لمسائل متعلقة بالسوق التجاري: أثر تغير قيمة النقد في سداد الدين، التحكيم، رد الحقوق لأصحابها، المسارعة في أداء الحقوق، توثيق الحقوق، زكاتي لعمالي، صدقة السر والعلن، وعرضت مسائل متعلقة بالأسرة: أبناؤنا في الاغتراب، البركة في القرآن، التواصل

اللفظي بين الأزواج، الزواج بين الحب والمسؤولية، الغيرة المفرطة، حضانة ولدي، فاتني قطار الزواج، قلة ذات اليد، وعرضت مسائل أخلاقية إيمانية: أتعبتني ذنوبي، أخاف المرض، الإيمان والأمن، آمن روعاتنا، جف قلبي، حدثني عن الإيمان، كيف أساعد أبناء بلدي، كيف أحافظ على مكاسب رمضان، كيف أصير من أهل الفجر، يثبت الله الذين آمنوا ، معينات الصبر.

عنوان خطبة اليوم: **(نتيجة عملية)**

أيها الإخوة:

المسائل التي عرضت لها سلسلة الخطب أمثلة عما يحتاجه كثير منا، ومن المؤكد أن مسائل الناس تتجدد ومشوراتهم تتعدد، فكيف لأحدنا أن يصل إلى الرشد في أموره وإلى الصواب والنجاح في مسائله؟!.

لكي تصل إلى الرشد في أمورك والصواب في مسائلك أنصحك بهذه الثلاثة:

أولا: الجأ إلى الله تعالى أن يفتح عليك في فهم المسألة وأن يلهمك الرشد فيها:

فقد قال تعالى ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: 269] والحكمة هي الصواب في القول والرأي والعمل، ومؤتي الحكمة هو رب العالمين جل جلاله.

في سورة الأنبياء ذكر الله تعالى خصومة الراعي والمزارع، والقصة أن راعي غنم رعت غنمه ليلا زرع فلاح فأفسدته، فاحتكما إلى داود عليه السلام، فحكم بأن تعطى الأغنام للمزارع بدل ما أفسدت، وكان ثمن هذه يساوي ضرر هذا، فقال سليمان: غير هذا أرفق بهما، فسأله سيدنا داود، فقال: نأمر بتسليم الغنم إلى المزارع، ينتفع بألبانها وأولادها وأشعارها، وتسليم الأرض إلى الراعي، يتعهدها بالإصلاح حتى تعود إلى ما كانت، ثم يترادّان. فسُرَّ سيدنا داود بهذا وحكم به، قال تعالى: ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ [الأنبياء: 78].

والشاهد عند قوله تعالى: (ففهمناها سليمان) أي فتح الله عليه في فهم الخصومة ومعرفة ملابساتها والإنصاف في الحكم فيها.

كان بعض العلماء يراجع في المسألة تَعرِض له المراجع الكثيرة ثم يقول: (اللهم يا معلم آدم وإبراهيم علّمني) يقول: (وكنتُ أذهب إلى المساجد المهجورة ونحوِها وأمرّغ وجهي في التراب وأسأل الله وأقول: يا معلم إبراهيم علمني ويا مفهم سليمان فهمني).

وأنت إذا عرضت لك معضلة أو أغلقت دونك مشكلة وأردت الرشد فيها فالجأ إلى الله تعالى واضرع إليه أن يفتح عليك بفهمها ومعرفة الصواب فيها، وهذا أول ما أنصحك به لتستدل على الرشد.

ثانيا: استشر من تثق بعلمه وتقواه وخبرته من العلماء والفضلاء فإن الله يجري الحكمة على لسانهم:

قال تعالى في سورة الشورى في وصف المؤمنين: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [الشورى: 38].

أخرج الطبراني في الأوسط عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَا خَابَ مَنِ اسْتَخَارَ، وَلَا نَدِمَ مَنِ اسْتَشَارَ، وَلَا عالَ مَنِ اقْتَصَدَ»**.

عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: وَاللَّهِ مَا اسْتَشَار قَومٌ قَطُّ إِلَّا هُدُوا لأفضَلِ مَا يحضرهم، ثُمَّ تلا (وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ)، وقال: ما تشاور قومٌ قطُّ بينهم إلا عزم الله لهم بالرُّشدِ، أو بالذي ينفع.

أخرج البيهقي بسند صحيح عن ميمون بن مهران قال: (كان أبو بكر رضي الله عنه إذا ورد عليه أمرٌ، نظر في كتاب الله، فإن وجدَ فيه ما يقضي به قضى بينهم، وإن علِمَهُ من سنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى به، وإن لم يعلمْ، خرج فسأل المسلمين عن السُّنَّة، فإن أعياهُ ذلك دعا رؤساءَ المسلمين وعلماءهم واستشارهم).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا قَطُّ كَانَ أَكْثَرَ مَشُورَةً لِأَصْحَابِهِ مِنْ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم».

فالمشورة: هي استخراجُ الرَّأي بمراجعة البعض إلى البعض، وهي: أن تُضيفَ عقلاً إلى عقلك، ولا ريب أن الشُّورى بركةٌ ومسبارٌ للعقول، وسببٌ إلى الصَّواب.

تذكرون – أيها الإخوة – غزوة الخندق، فقد عرض للنبي صلى الله عليه وسلم أمر مهم ذلك أن الأحزاب كلها تجمعت لضرب المدينة المنورة ولا طاقة للمسلمين بمواجهة الكل، فما كان من النبي صلى الله عليه وسلم بعد لجئه إلى الله تعالى إلا أن استشار أصحابه فأشار سلمان الفارسي بحفر الخندق وقال: يا رسول الله، إنَّا كنَّا بأرض فارسَ إذا حوصِرْنا خندقْنَا علينا. فعمل النَّبي صلى الله عليه وسلم بمشورة سلمان، وكانت المشورة سبب رشد ونجاح وصواب.

وأنت إذا عرضت لك معضلة أو أغلقت دونك مشكلة وأردت الرشد فيها فالجأ إلى الله تعالى أولاً ثم استشر من تثق بعلمه وتقواه وخبرته من العلماء والفضلاء فإن الله يجري الحكمة على لسانهم.

قال الحسن: النَّاس ثلاثةٌ: فرجلٌ رجلٌ، ورجلٌ نصفُ رجلٍ، ورجلٌ لا رجل. فأمَّا الرَّجلُ الرَّجلُ: فذو الرَّأي والمشورة، وأمَّا الرَّجلُ الذي هو نصفُ رجلٍ: فالذي له رأيٌ ولا يشاورُ، وأمَّا الرَّجل الذي ليس برجل: فالذي ليس له رأيٌ ولا يشاور.

ثالثاً: ابحث عن حل مسألتك في القرآن والسنة وكتب الفقه الإسلامي المعتمدة.

وإنما قدمت مشورة أهل العلم والتقوى على بحثك بنفسك في القرآن والسنة لأن القوم لا يصدرون إلا عن كتاب أو سنة وتخصصهم فيهما أعمق وفهمهم لهما أدق، ولكن إن لم تجد من تستشيروه من هولاء أو وجدت ولم يعطك الجواب فعد باحثاً في القرآن والسنة وكتب الفقه الإسلامي المعتمدة عن حل مسألتك فإن الشريعة كلها مصالح إما تدرأ مفاسد أو تجلب مصالح، وقد أنزل الله تعالى كتابه ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 2] وأنزله لسعادة البشرية لا لشقائها ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ [طه: 2] وأنزله بياناً وهدايةً ونورا ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: 138].

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين رؤوفاً وبالعالمين رحيماً وكان يقول: «**إنما أنا لكم بمَنْزِلة الوالد أعلمكم**» [أخرجه أبو داود].

ويعد الفقه الإسلامي مفخرة التشريع في العالم ومورد جلب المصالح للبشرية ودفع المفاسد عنها. وقد اتخذت شعبة الشرائع الشرقية وهي شعبة من شعب المجمع الدولي للقانون المقارن في مؤتمرها المنعقد في كلية الحقوق بباريس سنة 1951 قراراً تعتبر فيه الشريعة الإسلامية شريعة حية قائمة بذاتها وليست مأخوذة من غيرها ومصدراً مهما من مصادر التشريع العالمي وأكدت على أهمية ما تحتويه المذاهب الفقهية الإسلامية من قيمة علمية تصلح أن تكون خير مستند للتشريع الحديث

قال تعالى: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: 123] وقال: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 71].

فإذا كان قانونيو العالم يجدون في القرآن والسنة والفقه الإسلامي حلاً لمشكلات العالم فحري بك أن تجد فيها حلا لمسائلك.

فإذا عرضت لك معضلة أو أغلقت دونك مشكلة وأردت الرشد فيها فالجأ إلى الله تعالى أولاً ثم استشر من تثق بعلمه وتقواه وخبرته من العلماء والفضلاء ثانيا ثم ابحث عن حل مسألتك في القرآن والسنة وكتب الفقه الإسلامي المعتمدة.

وبعد أيها الإخوة:

هذه ثلاث نصائح لكي تصل إلى الرشد في أمورك والصواب في مسائلك كانت النتيجة العملية لسلسلة دليل إرشادي

- الجأ إلى الله تعالى أن يفتح عليك في فهم المسألة وأن يلهمك الرشد فيها.
- استشر من تثق بعلمه وتقواه وخبرته من العلماء والفضلاء فإن الله يجري الحكمة على لسانهم.
- ابحث عن حل مسألتك في القرآن والسنة وكتب الفقه الإسلامي المعتمدة. والله أعلم.

ختاماً:

أخرج الإمام مسلم بإسناده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل»**.

والحمد لله رب العالمين